

الكتــاب الأول

حفنة شعر أصفر

محمد حسان

المجلس الأعلى للثقافة

حفنة شعر أصفر

المجلس الأعلى للثقافة

الكتاب الأول

حفنة شعر أصفر

محمد حسان



١٩٩٦

سكرتير التحرير : **منتصر القفاش**

إلى فاطمة علي

وليلى كيرستن

وكل الناس الجميلة

محمد حسان

خيالات الأزمنة

رفّ القلب رف ، ترك تفاصيله للتحدد ، انصرف اللحم والشحم وبقى الجلد كساء للعظم، ساب روحه للموت ، انتفض الجسد واندلقت روحه .

قُبِضَ الشيخ قَبْضا لا راد له .

اختار وفعل .

الأكل معناه طغيان على حق غيرك فى البقاء ، امتنع عن الأكل . مات .

حافظة الفرج عن غير بعلها الشيخ ظلت تعجن وتقرص وترمى فى الفرن الأخشاب ، ترقب الأقراص المنضجة بالنار وتتسمع لطقطقات القوالح المشتعلة في الشاروقة ، تجذبها شرارات اللهب اللافحة وذرات الرماد الصاعدة ، ترى فيها خيالات الأزمنة المنتهية القادمة ، تهب عليها دفعات الدخان ، تختنق بالدمع ، تقوم لتبرد روحها الواجدة وجسدها الذى قارب أن ينشوى ، تندفع للباب المطل على الزاوية تاركة وراءها الرغيف الأخير للتفحم .

تقف أمام الباب تجد الحفيدة الحسناء لاهية بيد الشيخ الجد، تبسبس لها ، تناديها .

يمنعها من التقدم صوت خطو أملس عند الباب ، تنتظره ، تجده كلباً كث الشعر طويل الأقدام ، أسداً ضخمًا ، يقف على باب الزاوية ، يوازيها ، يجلس على قدميه ويداه مشدودتان إلى أعلى ينظر للشيخ وللطفلة ، لا تقوى الجدة ولا الحفيدة على الحركة أو الكلام ، يقف الكلب على قدميه ويقترب من رأس الشيخ ، يلعق الوجه واليد التى مازالت فى كف الحفيدة تنزلق دمعة من عين الكلب ، تسقط على السجادة الحِرام تعبرها وتأوى للأرض ، يلف بجسده مغادرا الزاوية فى انسياب بينما يرتفع صوت الحفيدة التى بدأت فى البكاء .

* * *

يومان وليلة . الليلة الثانية أوشكت أن تسيطر ، والجد ممدد على فرشته والحفيدة فى حضن الجدة ناعسة ، نشيجها يهز الصدر الحاضن .

جاوز المتوافدين الحد المألوف ، هُيِّئ المدخل لاستيعابهم ، تسربوا حتى غطوا المدخل والزاوية والحائط ذا الشباك الصغير ، تواثبوا من الخارج ناظرين إلى الجسد المقبوض الراقد أمامهم ، تدافعوا حتى أسقطوا الحائط طوبة طوبة ، وبقت أجسادهم بنياناً مرصوصاً بتلاحم متين يسترون الزاوية والجسد .

كرر الصهر الترجيع بلا انقطاع رفع الواقفون أصابعهم للسماء مهللين وهم خافضو الجباه .

شرخت الزوجة أذن صديقتها الأولى - ابنتها - قليلة الخبرة بحالات الوجد ، لما ناحت الثانية صائحة : يابويا .

مـــامـــاتش ، أصـــرت ، لـم يمت ، مـــات ، إيه الـكلام ده ، ده موجود ، مقبوض وهيرجع .

كبّر الناس .

فى ليلة الحـرب – قـالت الجـدة – الزوجـة – بعد مـا سـمـعنا الخبر وقف فى مكانه وانتـفض صائحا الله أكبر ونام «مـقبوض» سبعة أيام .

ألا تذكرون – أصرت – هتف أحـد المتراصين أيوه والمصحف الشريف شـفتـه على الجبـهة بيـزحف على بطنه من تحت السلك فوق الألغام يفك ويرمى ولما ناديته باسمه بص لى ، عنيه جت فى عنيّـه وضـحك ضـحكتـه وصـلت كـأنهـا دانة مـدفع ، جـريت فـوق الألـغام لـغاية عنده ملقتهوش والألغام مصابتنيش .

قالت الأم : كان بيكره اليهود .

الموت علينـا حق ، قـالهـا الابن الأصـغـر وطلـب الإسـراع فى تجهيز الغسل والكفن والخارجة .

ده مقبوض وهيرجع أصرت الأم .

قـال الصـهـر أول أشـغـال الشـيخ الوتد تثبـيت الـدنيا وقت الشـدة، سـيبـوه لما يرجع نعـرف كـان فين . ضـحكت الأم : كـان غيرك أشطر .

خرج صوت من بين الجمع : إكرام الميت دفنه .

* * *

النوم ملك الأدمـغة فسطلهـا وأسقطهـا فى الحـجـور ، وبقيت الزوجة صاحية عازمة .

رفعت الجسد المتخشب تحمله على كتفها فارة به منهم ، من غير المؤمنين به .

فهم إما راغب فى فرجة مشهد حلول الروح فى الجسد ، أو راغب عن الإيمان به ، ينتظر تحلل البدن . وحافظة العهد طوال سنى حجه وسياحته فى أرض الله تعى قوله : الروح والبدن بيشدوا بعض لفوق الفوق أو لتحت التحت والواحد بينهم بيجاهد وعلى قد العزم بتكون النتيجة .

حملت الواعية – دبيب الحياة فى البدن – الجسد فوق كتفها متخطية رجالا ناموا أو أنيموا .

خرجتْ للشارع لا تخشى من الكلاب العاويات العض بل التيقظ .

يتمسح كلب بقدميها ، ترفسه ، يزداد التصاقا تنظر له فإذا هو شبيه الأسد ، ينظر لها ويسير متهادياً يكسح أمامه الكلاب التى تفر إلى الأحواش .

تصل بحملها إلى الناصية ، طريقان للسلوك ، مسلك مطروق من الناس يصل إلى الطرف الآخر من البيوت وآخر يصل لبراح الزرع والجبانات .

تختار طريق الألفة مع البراح . تطأ الزرع طائرة تشتاق للحظة الانفراد بالشيخ البعل ، تصل لمدخل الجَبّانَة تُجلسه وتقعد بجواره مستندين إلى الحائط منتظرة حلول الروح فى البدن تواقة لسماع خبر سياحته الجديدة .

ميت عقبة

٢٨يناير ١٩٩١

حفنة شعر أصفر

١- حد الخوف

مسرجتان .

بشعلة نورها خسع . تشق واحدةٌ الضوءَ الرمادى المنذر بالعتمة ، وخيوط دخانية اللون تخرج من الأخرى ،تبادل اللونَ بالعرقين وبوص التعريشة .

تزيل أصفر اليبوسة برمادية التفحم .

ومنظر مألوف لرجل . أب . يخلخل أصابعه بالماء الطهور .

الكوعين . الوجه . الأنف . الأذنين . يوضئها . والفم يبلله ويمج السائل المبلوع منه قطرات .

وامرأة . بنت . فتاة . زهوة البكارة غادرتها من الوجه والجسد وتركت لها عروقا ناشفة وطقطقات شيب متراوحة في الرأس .

وبقيت البكارة .

بقيت الغشاء رقيقا عجوزا فى مكانه بغير مس . تحافظ عليه .

تحافظ عليه .

فى الجرى خلف طير أو حيوان أو صبى جمح . تحافظ عليه فى الخطوة الواسعة فوق قناة الماء أو بخور ظهر الجمعة أو درجة السلم الساقطة من أبد التعرف .

وفى الحلم . وفى المداعبة . وفى احتواء الأخ المفطوم النائم . تطبق ركبتيها على رجله وتسيبها عند حد الخوف .

تخرج من صدر جلبابها فحل التوت البنى ، تحكه فوق شفتيه فيفيض فيها حنين قربة الثدى السائحة منها أنهار من لبن عسل . تدس النبع فى الفم الماص . تجذب الولد إليها بلا حركة إلا من الركبتين واليد .

يسرح فيها طعم برودة حارة ، تبدأ من انطباق الركبتين حتى الصدر الممصوص .

وتحافظ عليه وهى تتطهر من الحدث الأصغر وفى الإستبراء .

وتحافظ عليه فى وضع القطعة القطنية الماصّة . الكثيفة .

هى تحافظ عليه من كل شئ .

وامرأة . أم . أقعت ساقطة الرأس تناوم وليدها . تكاد رأسها تكبس على النائم فى حجرها .

وصوت طشطشات لحم البحر الطرى تتبله الجالسة بدقيق وثوم مملح . وتمدده متجاوراً فى طاسة الزيت .

فتخرج منه الرائحة الغازية للبطن تستحثها على استقبال لحم البحر الساخن .

وقط داودى التسبيح ينشر نوره الأخضر . يتوثب لأخذ ما نابه . حقه . تطرده بهسة خفيفة من شوكة التقليب فيرتد جالساً آمنا . يستعد لفرصة قنص جديدة .

يلوّح له بالشوكة الحامية المقطرة زيتاً يغلى . وفى عينيها خوف من مسه .

العُمّار وأبناء الجن يخرجون بالليل . يتمشون . يتفسّحون في مملكة ابن آدم يلاعبونه . ويضحكون منه . يقلبون له الدنيا . ويتعبون ويجوعون فيظهرون في صورة القط والكلب ، يستطعمون الناس . ويناوشون ابن آدم في حياته : أكله ونومه وفي حمّامه وفرشته .

وتعرفهم – هي – من جرأتهم والنور المشع من أدمغتهم .

هي تناوشه ولا تؤذيه .

تلقي له رأساً وتقول له :

بسم الله الرحمن الرحيم . آمنتك ما تخون . إياك تخطف .

تقوم وقد أمنت شر العامر الظاهر . تنشر الحصيرة . تلقط أحجار الكبّة والسبع طوبات والبوص الرباب والعصى الأقواس والسهم وحبل المنجد . وأعواد القطن أو الفول الجافة . ولا تكنس .

العامر الباطن ، منه الكافر المؤذي . يسكن أماكن النجاسة . وراء الهلّوس وفى الكنيف .

يظهر فى العتمة . ويلبس جثة البنى آدم إذا وقع وحده علي الأرض .

يمسك الجنى الأحمر الرأس ويخبطها فى الأرض . ويدخل الجثة عاملا رنّة كبيرة تظل في أذن الملبوس حتى مماته . أو يخرج على يد أحد عرفاء الله .

ومن العمّار جِنٌ آمن بالله . يتحلق حول الأماكن الطاهرة . يلازم ابن آدم فى كل خير .

يصلّى خلفه . ويرد عليه التحيّات والتسليمات .

فى الأكل يجلس جواره . يمنع عنه الجنى الكافر .

يمنعه أن يأكل فى ماعونه أو يتفل فى فمه إذا تثاءب .

هذا إن ذكر اسم الله وإلا فإنه لن يستطيع دفع شيطانه .

هى لا تكنس بالليل .

حطت الطبلية . رصت الأكل . قالت :

بسم الله الرحمن الرحيم . تعالوا كلوا .

جلسوا . رأت أمها تدس اللقمة بفصوص اللحم خالى الشوك فى فم الرضيع .

وأباها يأكل بجمع أصابعه . بأصابع خمس غلاظ . رأتهم يقبسون .

يمضغون . يبلعون . والعامر الظاهر يتنمر للباطن . يزمجر فى وجهه . يخمشه . يطرده . ينشر أظافره فتتمدد وتتطول .

تغطى المكان كله . تغطى وجهها بيديها تنظر من خصاص أصابعها . ترى حصاناً فتح هوة فى التعريشة تخرج منها رأسه يركض ويركض حتى يبلل عرقه الشعر الطويل . يهز رأسه .

ينفض الماء عنه . يسقط الشعر عليها بأنامل رقيقة تلسع مكان حطّت ، تثير بذرة الشوق فيها .

يسقيها العرق . تنبت بين الضلوع . تخرم لها طريقاً لترى الشمس زهرة بنفسجية بنقاط سود على كل ورقة نقطة واحدة .

وماء العرق الدافئ يسخّنها . يبردها .

تفرد أصابعها تلامس الشعر . تجده مقتحماً حامياً . رجلاً . له شال رمادى طويل . تجلس على طرفه . ترى الذقن الخضراء . والعينين الرجاليتين . وأنفه الطويل . وسطه الأعلى مائل على رقبة .

الحصان وجذعه الأسفل وركبتاه تخبطان بطن الحصان . ورجلاه تدفعان الأرض فيخرج الفرس من فتحة السقف طائراً . تجرى خلفه . تمد يدها التى تطول لتلحق ملمسه .

تنط . ينفلت من تحتها الشال والشعر والعرق . تثب . تقبض الفراغ

تسقط منكوتة فى حجر أبيها .

لم تكن وحدها . رأسها لم تخبط الأرض . لم يركبها جنى أحمر .

حفنة شعر
أصفر

٢ - الجذب لأعلى

تكون الأوامر والتعليمات للدخول فى حضرة العالم الحكيم – عالم السر الرباني والحائط بجميع العلوم والمعاني .

وتكون لتنظيم حركة أعضاء البدن والروح والسمع والبصر والجوارح .

يحوم العارض حول المكان ، تمنعه قدرة الشيخ وسيطرته على مقدرات حضرته ومن فيها – تمنعه عن الأذى .

وإذا شرد أحد الحضور فى أمر من أمور الدنيا ، أو هيأ نفسه للعارض بأن دخل برجله الشمال أو شك فى قدرة الشيخ . أو كل ما يمنع الوصل الصحيح مع روح الشيخ التى تقود باقى الأرواح الضالة أو المريضة ، أو الباحثة عن صراط الحق المستقيم ، فى هذه الحالات فقط يحل العارض فى بدن الحاضر الغائب فيسحبه من هذا العالم . يتوه روحه . يشتت عقله فلا يستطيع التحكم فى جسمه وتكون الجذبة للأسفل . للعالم الترابى المظلم .

أذن الشيخ الرجلَ بالدخول . خلعا نعال النجاسة على العتبة (النعل لا يطبق على أخيه ويوضع تحت الباط . النعل يترك على العتبة . لن يشيله عيل . النعل محروس . محفوف بعنايته) .

جلسا على الحصيرة أمامه (أمامه على الحصيرة وليس جواره على فرشته فوق السجادة . الملائكة الطهرة قائمون علي تهيئة الفرشة لمن لا تدركهم الأبصار أو العقول) .

لا يجب المزاحمة على الفرشة .

نظر الشيخ للرجل الأب .

فقال له : شوف بقى – أنا مش ها شكيلك ، الشكوى لأهل البصيرة ، عيب أنت عارف .

قال الرجل العالم : استنى خدوا تحيتكم . احنا ساعة ظهر ، الغدا واجب .

صفق وقال : ياولد .

دخل الغلام واضعا الطبلية وتحتها حلة النفحة . مد الشيخ يده اليمنى تحت الطبلية ونفحهما قطعا من لحم . كان الشيخ يخرج قطع اللحم الكثيرة من الحلة الصغيرة ويضعها أمامها . بص الرجل الأب للحم والحلة واتلخبط عقله وقال :

الحلة دى ساعت اللحم ده كله . مد يده ورفع الغطاء .

كانت الحلة فارغة .

كدر الشيخ الرجلَ : كشفت السر ... سبحانه علام الغيوب .

وإيه حكاية الصبية .

والله إحنا بنلجأ لك لما بتعجزنا الحيل . والنبى تعمل معروف علشان خاطر عضم التربة اللى بينا . وخاطر النبى عليه الصلاة والسلام .

قصـر الموضـوع إنهـا البت لواحظ بنت جابر بنت نظلة لما نكون قاعدين فى أمانة الله بعد دخـول المغرب . بناكل لقمة . مرة واحدة بتهيج وتتنطط وترمح على اللنضة . وتهيج وتتنطط وترمح على النار اللى تكون قايدة وتقفش فيها وتتخشب . ومرة واحدة تبرد وترجع زى الأول عوزين نعرف دا من فعل الإنس ولا الجن . وتصريف الأمور شئ بينك وبين ربنا .

قال الشيخ الرجل – بتشوفى إيه .

قالت .. لم تقل شيئا سكتت .

أغمض الشيخ عينيه وصمت .

جمعت البنت المرأة الصور المتجمدة فى ذهنها . فكانت تسقط مع دفء المكان لقطرات تسيح على الصور تموهها ولا يبين منها الرجل من رجل الفرس ولا الجنى وتظهر فقط عيون القط اللامعة وصوت صلاته وتحفزه على يدين ورجلين صانعاً من ظهره سناماً لجمل المولد الجلدى المحشو بالردة .

قال الشيخ :

انت مين . انتى مين .

رد عليا . ردى عليا .

يا لواحظ فى حد مانعك من الكلام .

زاغت رؤاها فى نقاط الذاكرة المتباعدة المتساقطة من لهيب الرأس ، التقطت صورة الأمير ، الذى يكون قطاً بالنهار ، يخطف ويسرق ويكون بالليل . أميراً . رجلاً . قوياً ذا إمرة وسطوة . له نفس ساخن ينشقه من أنفه الطويل ويزفره من فمه الأسمر الغليظ . فيحيل بسخونته فرشة المنام إلى عرق يسيل بحوراً .

تدس نفسها فى صدره النابت فيه الشعر شوكًا أخضرا طريًا ينكسر تو الضم واللمس . والجذب . تنفرد متلوية وتنكمش أواهة منه وزائمة .

يقول الشيخ .. مين حضر .

يخرج صوتها مخنوقا فيأتى قوياً . الأمير .

– أهلا وسهلا شرفت . أمير مين الأحمر ولا الأصفر ، أنا واخد عهد مع كبراتكم .

ترد – أمير الجبال العالية والخيل الطويلة الكبيرة والنخل .

– وسكنكوا فين ؟

فى طاقة الفرن . فى الشاروقة .

– إيه الطلبات ؟

– الجواز .

– بس البت متأذية منكم وحالها كرب .

خرج الصوت من الفم . كانت أسنانها زامة على شفتيها . فهم الشيخ أن أمير الجبال العالية والخيل الطويلة تمكن من بدن البنت .

فأراد تحديد موقعه ليقرأ له الأسماء الطاردة .

سحب سبحته في الهواء فصارت سيفًا بنياً قاطعاً من تسع وتسعين حبة يُسْر . لها صليل تسمعه حال شق بها الهواء .

فردت البنت جسمها على الأرض برجلين مضمومتين ويدين معقودتين للخلف .

لاين الشيخ الأمير .

– دا مش فعل مؤمنين . الأذى والبهدلة . أنت ملّتكْ إيه ؟ رد الصوت – إحنا شيوخ عرب . ومكانى فوق القلب . فك العزيمة دقيقة واحدة وإلا أسحب الروح أطير بيها على الحصان أبو رجلين طويلة وأسيبلك الجتة ...

لا تنفعنا ولا تنفعكوا .

أدرك الشيخ جدية التهديد . أبطل الأسماء الطاردة وتلى الأسماء الحافظة .

سرت الحياة فى الجسد الخشبى – لمت البنت رجليها .

وسحبت عليها الجلباب . وصعدت برأسها تركت نفسها على الحائط .

قال الشيخ للرجل الأب :

آفة القلب الهم والغم . وراحته الفرح والسرور .

والهم هو ظهور الحرارة الغريزية فى ظاهر البدن عند الاهتمام بالأمور المهمة .

فإن لم يحصل الغرض المقصود حصل الغم وهو دخول هذه الحرارة إلى داخل الجوف وظهور الطبيعة السوداء وهى طبيعة الموت . فيتهيأ البدن لمس أم الصبيان أو ركوب الأرواح السفلية للبدن .

وإذا حصل وكثر الغم والهم وركبت الروح السفلية البدن ينحل الجسم لاختلاف الهم والغم والروح على الجسم واختلاف طبايعهم .

قال الرجل الأب والبنت تحضن ركبتيها

من الرجل الأب والرجل الشيخ .

- والعلاج يا مولانا .

قال الشيخ :

مع الفجر تخرج البنت تستحمى بالميه الطاهرة الباردة المنقوع فيها بذر القرنفل وحبة البركة وورق النبق من ليلتين قبلها .

وتقول : بسم الله الرحمن الرحيم - الشافى المعافى - الكافى من كل داء خلُقَ له دواء ، ودوائى فى إيديك يا رحمن يا خالق الأفلاك . وخالق الأسباب والمسببات فاجعل ما بين يدى سبباً لخروج العلة .... آمين .

وبعدها تبدأ البنت فى تقليم الضوافر . وننتف الباط وحلق العانة . وتتدلك وتتكحل بمرودة أبنوس أو عاج . ساعتها يبدأ اللحم السليم فى جسمها يأكل اللحم الفاسد وبإذن الله تطرد روحها راكبها وتبقى محفوظة من كافة أنواع الروحانية .

حفنة شعر أصفر

٣ - الياقوتة المتحققة

وجدٌ على وجد .

تبيتُ بعضَ ليلةٍ على الوجد ، بساطها وهج شاوِق ، تخاله الوقدَ - أو كاد - من زفرات الجسد المتلظى انتظاراً .

أما آن لهذا الانقباض أن ينبسط ، وجدٌ وقبضٌ ، همٌّ ووجع ، وجوه كثيرة . ولا أحد .

هى منقبضة تريد الانبساط .

باتت ليلتها تكافح النوم حتي فردٍ فراشته زبدة طائرة فى جفنيها ، فانسالت الرؤى الحلميةُ الواقعُ صوراً تصعد منِ القلبِ وما تخطه بإبهامها على شروخ الجسد . تدخل الصورُ الرأسَ المفكرة والجفنين ، يغزوها ملمس الرمل المطحون الناعم ، يتخللها من أظافر قدميها المفرودتين ، ومن كعبيها ، وبطنها ، ويصل حتى الرقبة ، تختنق بالشوق المندفع - من الأسفل ؛ تمرغ رأسها محلَّ المسند ، ترى نفسها فى جزيرةٍ من ماء . رمل رقيق يحوطها . تنشق وسط الماء نخلة طويلة ، تهزها إليها ، تسّاقط منها عصافير الجنة خضر صفر زرق حمر خضر .

تنزل الطيور العصافير على الجسد ، تمسده بمناقير ريش، يضع كل طائر ريشته المنقار فى جزء من الجسد ويدفسها فيه .

تجد نفسها بلا جلد ولحم ورأس ، بلا صورة ، تجد نفسها ياقوتة متحققة المعنى ترف الطيور رافعتها إلى الفارس الأمير ، فوق فرسه العالى - الأعلى من النخلة ، يضعها فى كفه الأيسر وبالأيمن يوسع فى جسده مرقداً لها ويسد عليها . تتحوصل فى قلبه ، تدفع الدم الذى يحمل صورتها وتذوب فى كل قطرة منه حتى تتخلل الجسد المحبوب .

ياقوتة كاملة ، تتفتت ، تذوب وتتحد داخل جسد المحبوب .

قلبٌ وياقوتةٌ ، جسدٌ ولمعة ، شوقٌ وبهجة ، لواحظُ المتهيجة والفارس الأمير ، الفارس القط ذو الظهر سنام الجمل ، والمخلب الإبرى يضربه فى الجسد ، فتخرٌّ منه عبر الدماء المسالة على الأرض التراب ، تمد يديها تلملم نفسها فتقبض طينا أسودا مبلولا ذا رائحة . تَنْدَهُ نفسها ، تتجمد فى عينيها بقايا زبدته ، تمسحها ، (تتلبك) أصابعها . وتجد نفسها على الأرض . ذائبة . تنتفض .

تقوم إلى الحمام .

حوائط صلعاء ، وثلاث عيون . عين تنزل فيه الماء ، وعينان تسحّان الدمع .

وحلّةٌ منقوع فيها وصفة الشيخ الحلوانى ، وبطة تحمل الماء الدافئ دفء دمعة العين وغطاء حق به حلاوة السكر المغلى ونقاط الليمون . تقف على خشبة الحمام ، تشب على قدميها تنظر الخارج ، تجد قططا خضرا ثلاثا يصعدن السلم ، تعى رسالته .

قِ نفسك ، أوفى العهد .

تدير رأسها ، تفك عصابة الزيق ، تحل شعرها ، تدلى يديها ترفع الجلباب ، يصدم كوعها الصاعد البارد حرٌ براحِ الصدر .

تُخلِّص رأسها من طوق الجلباب ، ترفع رجلا وتخلص بيدها القطعة الأخيرة ، الضامة اللحم ، الحامية من اللاشئ .

تخلص نفسها منها .

تقرفص ، تتدلى أمامها كرتا اللبن برأسيهما الوردتين ، تفرد الأصابع على القطعة اللزجة ، تنتشها بالبصر والوسطى والإبهام ، تحوط عليهما بالسبابة ، ويبقى الخنصر مشدوها مشدودا لأعلى .

تضع اللزوجة القافشة مفرودة على شفا الشرخ الجسدى ، وتنزعها ملمومةٍ مرة ومرة ، حتى يبرأ الجسد من زوائده .

ويبقى وخزٌ يثير القبض والبسط داخل الجسد .

تميل البطة ، تغسل يديها وفمها ووجهها ، تمسح بزاز الصدر تجد النشوة فى المسح ، يتحرك فى جسدها الشوق المترسب مندفعا للتسرب .

تمد الوسطى زامة شفتيها ، تنزلق اليد بحرص شارد فى كسرها تدّافع الرعدة متزايدة ، تقف رأس الأصبع عند الباب المسكوك للرجل الأب والرجل الأخ والرجل الأم ، والرجل الزوج .

تترك يدها ينزلق الظفر الأصبع فى الحمأ الخارج من الترائب تفتق الجلد وتفتح الباب ، تزداد الرعدة والحركة والرأس تصدم الحائط ، تقع سياط الشعر المحلول على أكتاف الجسد القاعد المشدود ، تصارع الآهة المندفعة والبرودة الصاعدة من دائرة التقاء الجسد بالخشب المقعد .

ترى النخلة والرمال الناعمة والفرس والوجه الفارس .

تسقط النقاط الوحيدة على الخشب المقعد والطين الأرض مغيِّرة لونها من الأحمر البنى إلى الأسود الكحلى .

تسحب نفسا جديدا عميقا .

تتصيد أوراق النبق الطافية وحبات القرنفل .

وتتطهر .

حفنة شعر أصفر

٤- طالعة السلالم

خارجة من باب الحمام . قلبها خوخة نضجت .

هى تلمس الآن حس البنت باكتمال التحقق فيها .

بدأت الأم – المرأة داخلها ترفع البنت الفتاة . تقذفها إلى صماد التعريشة وتتلقفها . رفعتها حتى كشف الثوب ما بين الفخذين . وما كانت تدّخره للفارس الآتى . اكتشفت منظر عشها الخاص وقد أصبح مذاقه كالمسكون .

فردت يديها وعند أوان الاحتضان تركتها تسقط على الأرض موضع القدمين : داستها .

خرمت الأرض . دفعتها حتى وصلت الأرض السابعة . سدت عليها بكعبيها .

قالت لنفسها : روحة بلا رجعة .

خرجت من باب الحمام وقلبها خوخة نضجت .

بنتها التى لم تلدها – ماتت – وذابت في ترب الأرض .

لا البحر بحر ولاهى تغرق .

تنبهت على صوت القطط اللاعبة على السلم . أحست دقات إيقاع الصعود داخلها . فى بطنها سارت تدفعها الإيقاعات المكتومة وكأنها قادمة من بطة مليئة بالماء .

الصوت ملمسه نحاسى خشن - داخلها .

وصلت أول السلم .

جرت القطط بقفزات تغرى بالقفش . أمسكت المشمشى . أسكنته صدرها .

طلعت السلم . الشمس طالعة والقط فى يديها .

طالعة السلم .

من هذه الطالعة السلم كأعمدة من دخان معطرة بالمر واللبان والقرنفل وكل وصفة الشيخ الحلوانى .

من تلك التى تناغى - تلاغى تغنى للقطار المسافر فيها .

من هذه المغنية بحس ولا صوت ....

يا سايق القطر .

صفرتك عجبانى .

صفارتك بتضرب فى قلبى .

وما بسمعهاش .. بودانى .

يا راكب القطر .

طاير وأنا بقلع لك لبابيدى .

استنى شالى أفرده وأحل لك عقدته .

بيدى .

يا سايق القطر .

انزل حدا القلعة .. وخبط على بابى .

أفتح لك أنا القلعة .

وصلت أول التعريشة . أول الحلم . أول الكابوس . منها نزل الفرس ويبيض الثعبان فيها ، داخلها تلد العرسة فوق الذهب الذى تسرقه من بين ملابس النساء الذهب المدسوس بين الرياش المخاطة بالأزرق والأحمر والذهب .

منها يصدر صوت الصرصار بصفارته المتقطعة .

وفيها ترى الفأر يزاوج السحلية .

وضعت رجلها فوق التعريشة أول الحلم . أول العِرْق مَشَتْ تحذر الوقوع . لو خلَتْ بها التعريشة ستسقط السقوط الذى لا قاع له .

سارت على حد العرق بيد تضم قطها إلى صدرها ويد مفرودة دفة . كفها تميل حسب اهتزاز الجسد . واصلت الاهتزاز حتى وصلت ركنها الذى كانت ترى منه كل السطوح حولها .

جاءها صوته يغنى ويرد عليها ...

بينى وبينِك محطة .. شعرِك ضلِّل علَىّْ

يا ساكنة القصر العالى .. مدى ايدك سلّمَىّْ

أنا جيت أمد ايدى

منعونى الغُفَرا

تعالى لى فى العشية .. تعالى لى المَنْدَرَة

غطينى بطرف الفوطة .. وادينى حباب التين

ياما نفسى أكون وياكى .. على بير الشيخ علَىّْ

أملى لك ياصبية

وأنت تتغَسَّلَىْ ..

بينى وبينك محطة .

اقعدت القط بين شعبها الأربعة . لاعبته بيدها مرة ومرات تمسح له ما بين أذنيه وتحت ذقنه حتى لمست نعومة حركة الجلد والشعر فى جسدها .

داست عليه بكلوة يدها . حملته إلى صدرها موضع الحنين. فتحت قبة قميصها . أخرجته له وضعته على شفتيه .

داست بالسبابة وسندت بالإبهام . احتقنت الرأس البنية . شعر القط بتيار اللبن المحجوز . حنَّنه بلسانه . فرد ظفرة فى غمرة نشوتها . انفتأت القربة تخر خيوطا حمراء وردية بيضاء .

أحست بفض المكمون فيها له – به – .

أمسكت برأسه وكتمتها فى القربة الدافقة تروى نفسها . وترويه .

تمطى . تصلب . انفرد .

اختنق .

طوحته بكامل ذراعها إلى أخر التعريشة .

بيتت طيرها النازف . قامت تمشى للصوت الأخرس القادم منها . القادم إليها .

مدى ايدك ياصبية بينى وبينك محطة . بينى وبينك محطة .

رفعت رجلها من فوق قضيب العرق ودخلت فى القطار المسافر إليه المسافر فيها . ونزلت من هوة التعريشة إلى اللاقاع

حفنة شعر أصفر

٥ - قال الشيخ الحلوانى

عليكِ بالمدفون .

أكسـيـر الحـيـاة . تراب بـيت وِلْد البكر . وحـدك تروحين . المقفـول تفتحينه . وتنزلين وحدك .

فى الـطريق . الـنائم والـقـاعـد والطـائر . ثلاثة عـفـاريت ستقابلين.

أرمى القـاعد والـنائم بجمـرات الفلفل الأسـود . الحـرق لهمـا مكتوب .

والطائر له يد أمـينة . خـذيه خلفك . يحـمـيك من جنس انس وجان .

وحـدك تضـربين . وحـدك تنزلـين . وحـدك تقبـسين تراب الأكسير . وحدك ترجعين .

قال لها الشيخ الحلوانى :

وحدك تروحين ووحدك ترجعين .

حفنة شعر أصفر

٦ - إلى الزهراء ابنتى

ثقيل هو الخطو وحيدة هى المرأة التى تمشى ، خطوها حذر ، روحها وثَّابة ، قلبها المكبوت مملوء بأسى مطمور دفين .

تسربت علّتها من القلب محل الألفة فغطت جسمها كله .

النحول ملك ساقيها وأصابعها وجذعها .

والعينين غارتا .

وبرزت عظمة القورة .

والخدين .

النفس أصبح قصيرا متسارعا .

هى كلها جرح .

تود أن يأتى وينكئها فيتطهر الجسم كله من القذى ، وتفيض فيه .

الدماء الجديدة ... دماء الرجل .

الزهرى فى السماء ، والدلو يلاقى الحمل .

صلاة العشاء رُفعت .

بضع خطوات بقيت ، مكان القبر عرفته من بقايا الجير والسعف المتناثر ، والأرض المبلولة .

فكّت صـرة طرحـتـهـا ، من الفـلـفل الأسـود تسع حـبـات صحيحة قبست .

وبدأت الشبشبة :

مسيكى بالخير يا نجمة العشا

يا حمرة زى المشمشة

خرجت من باب الدار لقيت الدنيا

ولقيت تلات عفاريت

واحد نايم والتانى قاعد والتالت طاير .

رجمـتـهم بالفلفـل الأسـود . يـتـحـرق بناره القـاعـد والنايم . وأخلىّ الطاير أرجمه بتلات جمرات .

جمرة على لسانه ماينسانى .

وجمرة على عينه ما ينظر حد غيرى .

وجمرة على ودانه ما يسمع إلا كلامى .

ويقف على بابى ، يحمينى من جنس جان أو انس .

الفلفل رمته . وجـهها مسحـته بكفيها ، قَرأَتْ البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود .

قوية آمنة خَطّت .

أحجار المدخل قلقلتها ونزعتها . يدها ورأسها ونصف بطنها أدخلتـهم فى العتمـة . نصف الجسـد بقى فى الخـارج داخل الليل فى حراسة العفريت الطائر .

عطر الغُسْل وروائح الجسد والتراب المبلل أبتلعتهم .

بهاء جمال الجسم المسجى أمامها أحسته .

أخرجت من صدرها ما يذهب الوحشة المظلمة . العود شطته .

الشمعة قادتها .

أستحى النور السريان وانتهاك حرمة المكان . وجهته ليسرى فى الجسد .

الشمعة وضعتها خلف الرأس . أشرقت هالات النور فى الشعر . شعر الرأس .

الرموش . زغب الخدين . الشفة العليا . والذقن . انحدر الضوء مصطدما بهضاب الصدر . أنتقل متكسرا خجولا عند البطن حتى انمحى . اختلطت ظلال النور بالعتمة القادمة من ناحية الرجلين المفرودتين فى وجه الجدار .

الأصابع فردتها . جعلت تهتك ستر الجسد المحرم المس .

أحست ببرودة الجسد وطراوته التى بدأت تتراجع أمام التيبس الذى بدأ يسعى فيها بحيرة السرة داسها الصباع . دفقت الحياة فى دماغها .

رأت نفسها تخرج من باب فى ذراع أبيها واسفنجة السماء كابية اللون تمتص الأشياء . تمتص الطلقات ، والزغاريد ، والصيحات المغلفة بالدفوف ورائحة البارود .

استلمها الرجل من يده . دخل بها الباب . شمّر . مد يده عليها .

انتفضت .

أصابعها مرت على الرقبة . والأذنين . ملست على الذقن . والشفة التى حال لونها من تسرب الازرقاق فيها فاستحال اللون الأحمر بنيا غامقا .

يدها سرحت على البطن المخفوقة وتتدرجت على الأضلع المسطورة التى كادت تبين من تحت الجلد .

تعثرت الأصابع فى رحابة الصدر عند باحة الثديين المبسوطين .

كانت الترمستان النابتتان حلمتين .

فى جسدها سرى شوق .

لو تملك روحها هذا الجسد لطببت علة القلب وسقم الروح وكان ما لم يكن من قبل .

وضع يده على كتفها . اعطته ظهرها .

اقلعى هدومك . قال لها . نفرت منه . أمسك شعرها . وظهرها وصدرها . لاينها . صدت عنه .

كانت صنما .

هاج .

ضربها على رأسها . ووجهها . وقعت برك . فوقها . حبس عنها منافذ الهواء .

قطع جلبابها . قميصها . كل ملابسها .

أغمضت عينيها .

تركت جسمها له .

لملم نفسه وتركها .

تأملت الرأس . والوجه . دققت البصر .

مدت يدها تحفن تراب الصبوة . تراب بيت وِلْد البِكر . تحمله للعالِم . يعزم عليه بالمراد . يمنحها به صِبا البكارة . خصوبتها . حيويتها . حياءها .

ويمنع عنها أم الصبيان طول الدهر .

حفنت تراب الأكسير المبلول بنداوة الجسد . سلت يدها من تحته وضعت التراب فى الطرحة مكان الفلفل . صرت عليه .

بضع شعرات صفر من فتحات الطرحة المصرورة خرجت .

أحست أن شوكا يضرب بجذروه بدأ ينبت فى يدها .

ميت عقبة

يناير - أبريل / ١٩٨٩ م

فض الروح

الناس قالوا : أنها إحدى العذراوات اللائى ألقين فى النيل ليفيض أو هى عاشقة ألقاها أهلوها أو هى ألقت بمحض إرادتها في النيل بنفسها والناس يجمعون على أن عذريتها تتجدد ليلة اكتمال القمر بدراً - حيث يشتد شبقها .

والناس يرونها وهم بالليل فرادى تحت شجرة أم الشعور ، يرونها وهى تعد حبات عقدها المصنوع من آخر زفرة تخرج من الجسم حاملة روح الرجل . ويرونها وهى تدلى قدميها البيضاوين العاريتين فى الماء وينعكس عليهما لون القمر فيكسبهما بياض اللبن الصافى ، ويتدلى على باقى جسمها الشعر الأسود ، وتبدأ التمشيط فى هدوء خصلة خصلة . ومرة واحدة تضرب المشط فى منتصف الرأس تقسم الشعر نصفين ، تأخذ الأول خلف ظهرها فتكشف صفحة الرأس والوجه والثديين ويتحول باقى الجسد إلى جرة أو صرة وتنادى على الذكر المار تستغيثه فيحس الذكر بحنين الاكتمال ينزل الماء يمد يده لينقش نفسه على صفحتها ، تبعد هى رجليها الجرة أو الصرة ، تنزل هى يخوض هو يغوص خلفها ، تعيد لنفسها شكلها الأول

وتمنحه القدرة على تنفس ريحها فإذا أحس بها تضرب فى عمقه انجذب عقله وصار حليلا لها وصارت حليلته ويفتح الشبق بينهما باب الرى فيرى منها ما لم يره ، فتهيج له نفسها وتفتح له أبوابها الطيعة ، يحاول الدخول فيتجمد ذاهلا من نور بزغ من عمق الظلمة . فيقف عند حد الظلمة الغاشية وهى التى انتظرته منذ المحاق حتى اكتمال البدر لا تطيق مع ضعفه صبرا تنتظره حتى ينكسف لهما البدر .

فتفض نفسها بيدها ، وتسحب ما منحته فيفزع خارجا كمدا وتبدأ روحه فى الفرار منه قطرة قطرة حتى يكون لوحا واحد يطفو على الماء ، وتغوص هى تعيد تشكيل نفسها ويبدأ نموها ، من جديد جزءا جزءا مع القمر .

وتبقى يدان تجمعان روحه ، حبة فى عقد صدرها أو دبوسا فى شعرها . وتبيت تحت الماء حتى اكتمال القمر وكمالها فتجلس من جديد على الضفة – تمشط له شعرها – وتنتظره فردا وحيدا جديد يأنس لها وتستأنس به .....

ميت عقبة

١٩٨٨/٨/٣١ م

حيضا يحيض

للجسم برودة وحرارة ، يبس ورطوبة .

فى النوم يثبت الجسم عند التعادل .

موتا صغيرا يموت ، وظائف أعضاء الحس تتعطل وتترك قيادة الجسد للروح العلوية السابحة فى أفلاك لا يعلمها إلا باريها .

صاحبنا فلان بن فلان ليست له فلانة يرجع لها آخر اليوم وفلانته الأولى بعد أن لفظته من بطنها ركبت قطار البعد لتسكن فى حلق طائر يرف على أبواب السماوات ، يتريض بها بين الأفلاك حتى ينفخ أسرافيل فى صُوره فتسكن بيتا من ياقوت أحمر يطل على بحيرة من ماء زئبق .

وصاحبنا لا ينطق أمام جنس كل بنت فلانة أو كل أب فلان وخاصة أمام كل آمر فلان .

عندما تعادلت طبائع جسمه وجد نفسه شاخصا أمام امرأة جلّ من أنشأها تتريض عند الماء وتتجرد من كل ما نسجه ابن أو بنت أدم .

وعندما همت بنزول الماء ورأى برق الصورة وتجليها على الماء حار أيهما الأصل أو الصورة وأيهما يطلب فاضطربت حواسه وامتنع الجسم عن إجابة أي أمر من دماغه خرج . حتى التفتت هى إليه وابتسمت وفتحت ذراعيها وسارت إليه . ولما سطع نورها داخله هَمَّ بتقليدها . وهَمَّ بها لولا أن سمع قطاراً يصفر فى أذنيه يلطمه .....

عيب يا ولد .... الله يرحم أبوك .

فزع والدّيكُ يؤذن لأناس بالنوم وأناس بالافاقة . تمطى تثائب أغمض جفنيه وأخيراً وقف على قدميه . ترنّح . وجد جسمه غريباً عنه ، نعم يطيعه ولكن العينين كانتا تريان الأشياء برأس آخر ، واليدين تمسكان الأشياء بخبرة جسد آخر . كله كان غيره .

طرد إحساسه ورفع الجلباب ليخرج منه فحاشته عند الصدر كرتان ناهدتان ، سحب الجلباب وألقاه على الأرض فسقط الشعر ناعمًا فوق الكتفين ، جرى للمرآة يشوف نفسه فإذا هو غيره . الشعر ، الحاجبان ، العينان ، الصدر كلها ليست له البطن، الدم يقطر منها ....

حيضاً يحيض .

جميلة أصبح ... جسدا .

والعقل المفكر ما زال ملكه ، قام إلى أقمشة البيت ، أربطة لفها حول مابرز ، الشعر قَصَّهُ . بالنظارة السوداء دارى العينين، والدم سد نبعه بالقطن . وقف أمام المرآة . الآن عاد له جزء من جسده يواجه الناس به حتى يبحث عن حل .

بنظارته السوداء وحقيبته المملوءة قطنا خرج .

نزل الشارع ينظر للأرض لقدميه ، لحقيبته ولبعض من أطراف الناس المارين جنبه . رفع رأسه قليلاً يتلمس طريقه وجد الناس وكل واحد منهم يمشي بطيئًا رأسه تنظر للأرض عبر نظارة سوداء . ولكل منهم يدان تقبضان على حقيبة تبرز منها قطع القطن المنزوعة تواً من الوسادة .

ميت عقبة

١٩٩٠/٢/٤ م

بيت الجنية

فردت يدى بجانبى لأقصى مدى حتى أحافظ على توازنى ، كنت أحاول تقليده ، كان يسبقنى لمسافات طويلة ويعود ثانية ليدلنى على الاتزان الصحيح ، تزحلقت بعد مافشلت فى الحفاظ على توازنى ، كنا حافيين لم أدرك سبب التصاق قدميه العاريتين بقضيب القطار الساخن الناعم وكيف يحافظ على اتزانه فوقه .

(قالت فى أول خميس له : كان ابن موت ، لا يهاب أحداً يعرف ماذا يريد ، ويفعله) .

جَمَعْتُ مسامير وصامولة وقطعة حديد قال لى أنها مغناطيس ، وأنها لو كانت تحت ورقة تقدر أن ترقص بها الحديد طلبت منه التوقف لنبحث عن نقود ساقطة من جيوب المسافرين بين الزلط الساخن ، قال لى أن الجنيّة تخرج من الترعة ساعة القيلولة تجمع القروش والأشياء المفيدة الساقطة من القطار كله .

(قالت : كان مكشوفًا عنه الحجاب ، صدقينى أنه صرخ ساعة دخل بيت أختى أول مرة ، اللهم أحفظنا ، كان بيتها مسكونًا) .

قذف الزلطة بطول ذراعه وقال أن الجنيّة تسكن فى نهاية القضبان ، أشار لخيوط بيضاء متداخلة مع نهاية البصر ، قال أنه صديقها ونزل معها الترعة مرة وانكسف عندما شاهدها عارية تحت الماء وأنه وعدها أن يأتى هو وأعز أصدقائه ليسلما عليها ، سَقَطْتُ من فوق القضيب ، ابتعد للخلف وهو يشير ... (أنت خائف) واستغرق فى الضحك .

(صَرَخَتْ كثيرا ، مات صوتها ، بدأت تشد الطرحة بكلتا يديها من خلف قفاها ، فتحت فمها ولم تنطق) .

يأس منى وجرى وحده فوق القضيب تجاه بيت الجنيّة ، تابعته بضع خطوات ونظرت لبيت الجنيّة كان أبيض ليس لون اللبن ولا القماش ... كان بياض الماء ، تزلزلت الأرض تحتى ، سقطت من فوق القضيب ، علا صوت الصراخ والضجيج نظرت خلفى ، قمت ، طرت ، كان فم القطار مفتوحاً باتساعه .

ميت عقبة

١٩٨٥/٧/١ م

لوجد الفراشة
صهيل

يتراكم الوجد متزاوجاً ، متزايداً ، مقترباً من وعد الفراق / اللقاء .

يستدرج قلبي شرقَ الشمس الغاربة .

أقف عند حافة المشهد المقدس ، ألقى بعض وداعٍ على النباتات الطافيات فوق حدود الجسر الممدود ما بين الوجود وبين الغياب محاطاً بصخب أزيز أعمدة الإنارة المقيّدة فى الخرسانة أقف .

يَفِرُّ قطٌ من تحت عربة مارّة - راهبا وحدةَ هَوّشَتْهُ ، يضيئ مصابيح عينيه ويجيئنى ، أمسح الهواء فوق ظهره ، مستوطناً العجلات الراكدة يفرُّ القط منى .

يتسرب إلىّ صخب جنود متفسحين وحفيف ناس مستأنسين يقتنصنى من بين الزحام - زحام الأيدى والأجساد والعيون والحناجر - يقتنصنى دفء صوت احتال على فراشة وزاوجها لرنين حنجرته .

يصير قلبى مرتعا للفراشة الجائسة فى الدروب المخايلة حولى .

ينقرني الدُّف في كعبيَّ ، اقترب من الأجساد الدوّارة المتطوحة، أقف وسط الجنود ، المجاذيب ، وأبناء الله والسبيل والشارع والسرادق والميدان الكبير ، وأبناء الناس .

يرتفع الصوت المكحول بالندى / الندا ، آخذ الإيقاع وأخوض في مخاضة العشق .

يطفو الصوت ، سبّاحاً فيه أرشف :

يا ساقي الخمر .. جالك أمر .. ناولني
خمرة قديمة .. وعلى باب الرئيسة حوّلني .

أنصت لأصوات – زفرات وجد المتوحدين مع صوت يشكو لزينب / إيزيس إغلاق باب الديوان في وجهه .

مَنْ لِمَنْ في القاعِ بلا ذراعْ . أغيثيني .

يتشبثُ الصوت بحبال مَدَدِها المتين ، يَجْدِلُها ضفيرة ويلقيها حول الرقاب أطفو خارجا من رحم الأسى .

لِديني .. لِديني ، صارخا .

يَصيح ماسكو الإيقاع .. لدينا .. لدينا .

على زمن الإيقاع الواحد أُولَدُ مستوحشا القلب / البيت / الأم / الرحم الأول .

نعاني ألم الميلاد من داخل النفس ، أطلب القرب – منها – غناء ، والأنس في وقت جدب النفس : أتصيرين بصرا به أبصر – وسمعا به أسمع – وروحا بها أعيش ؟ .

يرن الصوت خيشيا نابتا مني :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا
نحن روحان حلَلْنَا بَدنَا

انفلت من الحلقة مطروحا على الأرض ممسوسا بماء الرحم المخرج منه أتسمع صهيل الفراشة ، أُقَبِّلُ قطرات مائها الساقطة ، ألملمها فتَتَغرُّ مِنِي ، أناديها .. يا نفسُ انتباه .

ذائبا في قطرات تلملم قطرات يغمرني صوت كفوف الدُّفُعات المصَفِّقة ، يشدُّون صدورهم ، يروون عيونهم من نِداى عليَّ ، انتباه يانفس ، منك الصفاء ومنى المروى ، يفردون أيديهم ، ترفعني عيونهم ، أقف ، متعجبا من الماء يحمل ماء ، كيف لِكلِّى تحمله بعضى ؟ تتحرك الصفوف دوَّارة ، مصفقة ، راقصة ، دافعة ، مغنية ، فانية ، ذائبة ، متوحدة ، تبتلع الجنود الجوالين ، البائعين ، الدَّفَّافين ، الدقَّاقين ، الباصين ، المشدوهين ، المحجوبين عن اللُّقيا ، مبتلعين الوجوه ، مستحيلين مرايا تبثُ وجهاً واحداً محمولاً علي أعمدة تهتز محرَّرَةً من قيد الخرسانة وانطلقت تعكس وجها ، صوتا ، وجداً ، وجسداً ، مقبرة للفراشة .

وجعلوا يتوحدون .

ميت عقبة

١٩٩٢/٢/٢٩ م

---

* النص كله متماس مع الحلاج .

الناعم
المختلس

البرد يبدأ من داخل القلب ، يخلخله وينتشر فيه ، فيصيبه برعدة تهز الرأس ويقف لها الشعر ، ويزيغ البصر ، وتُدَفَّقُ آخر زفرة ساخنة من الجسد .

ويضطرب الموقف من الأضداد فيهين كل الخارج وتضعف النتائج ، أركن رأسى على اللوح الاسمنتى المحفور من سنوات لشهداء سكنوا المكان ورحلوا جسوما ومعهم كل أشيائهم القليلة إلا أسماءهم تركوها مسطورة لا تكاد تبين من الظلام الكاسح الذى يزحف من كل الخارج والداخل .

والنوم المطارد يسكن ويناوش كثيرا فيصيب العينين بإغماضه والرأس بسقطة وتبقى اليد قابضة على عهدتها الساخنة الباردة حسب الجو .

وأراهم يجرون ويجلسون ويقهقهون يسقط غطاء رأس أحدهم فتتقاذفه الأيدى والأرجل ويعودون للجرى .

وأراهم متهللين كلهم يطوفون حول المكان يضحكون ويشيرون بأيديهم ويتحللون فى مجموعات النجوم الكثيرة

فأستسلم للمطارد وأفيق منه على نقرات بسيطة وهمهمات أسيانه أطرد بها النوم وأطاردها ، أستبينها ، أجدها :

آه ، آه يا حلوه   يا حلواه

يا حلوه فكي التوب وفرجينى أنا المجذوب

دانا شعرك لمسنى والقلب قايد نار

فأتلامس والدفء .

وإذ يغيب الصوت عنى ويبدأ البرد فى الزحف من جديد وتنقشع بقايا الدفء فأسقط وأقوم وأتسمع وأسقط وأتسمع ...وتأتينى شعلة صوته تدبدب فىّ فأتلمس آهاتها تطول وتطول فيرتفع الصوت مخترقا الحلكة

والقلب قايد نار ...

ويخترق الجو صوت خبطات وآهات مكتومة وخطوط ضوء تطعن الليل والتأوه والصوت والدفء .

تُجمّد البرد وتثلجه وتحيل كل الناعم المختلس إلى ضده وتتراجع بصدر مفرود ويد قابضة وقلب داكن .

وتبقى خطوط طاعنة تضرب كعبها فى الأرض تود لو تميد من تحتها وتبلغ بها طول الجبال وتترك صوتاً رقيباً يزرع حوافر لسانه البارد فى إضطرابات قلوب تلامست ودفء الأغنية فيمنع منها الأغنية إلا التأوه .

ميت عقبة

٧/١٠/١٩٨٨ م

الدخول فى الخروج

مهداة لمن دخل الحياة من حافة الموت
«يحى الطاهر عبد الله»

(٦)

أحبك تمنى أن يقولها .... ومات .

(٥)

محمدٌ لك الفعلُ ياقاتلى .
فعلتها مرةً .
ومرات .
والآن تفعلها صراحةً .
فانزع سكينك من مقلتىَّ .
الوقت فات .

(٤)

قال : بصوا ....
بصينا .

(٣)

كلّ واحدٌ تجرد من النسيج المخيط . ودخل الشارع جسدا صريحا . اتخذ أرضية الشارع خشبة للمسرح .

سار راقصاً على أصابع قدميه ، استند بيديه على ركنى الشارع حتى يأخذ دَفْعَةً لرقصة قصيرة ، جديدة .

يميل بكامل جسمه على الأرض ، يلتقط نفايات البيوت ويلقيها فى الداخل والشبابيك المفتوحة .

ويعود لرقصته المتاحة له .

عارٍ تماما يسير .

عارٍ تماما يرقص .

والأطفال والناس حوله يرمحون ، يختفون ، يحتمون بأى أم يلقونها .

ويقفون خلف الأبواب المواربة يرقبون الجسد الداخل فى الشارع .

الجسد المميل دفة دماغهم .

الحامل نفى تلقينهم .

كل رِجْلٍ يرفعها تُمَيِّل الطريق ، تسحب اتزانه ، وتميد الأرض من تحتهم .

حمل كيس زبالة وألقاه فى حوش (رحمة) المفتوح .

وقف لحظة ووقع متكورا .

حمل الأسطوات . كلٌ قطعةً من عدته وجروا خلف الجسد المكشوف حتى طالوه .

ومن الخلف نزلت المكواه الساخنة ومارينة الخشب وقطعة الحديد غير المثقفة وعيونهم .

(٢)

سقط الجسد طفلا . رَحِميًا .

لم يصرخ .

فقط رنين مكتوم لجسد تكور .

(١)

نام .

ميت عقبة

١٩٩٠/١/٣ م

السها والفراشة -
محاورة أخناتون

١ - تعارف

كان فضاءٍ وكان رجل ، وكانت أيادٍ تفتش .
وكان عقل وكتب وبلد .
وشعر وبنات .
فكان حبس . وكان اتهام.

* *

دخل . فكانت حوائط لتعليب الجسد ، وشباك يرى منه بعض مساحة من السماء .
وملابس كتانية بلون النيلة عليها زهرات اللوتس وأعواد البردى منحوتة .
وكان جوع ، وكانت جراية .
وكان عدس وكان بصل ... وكانت سحلية تفر من بين يدى الجائع .

* *

جوعان .
جوع تسده الجراية ، وجوع لا يسده إلا هو . فخلق غذاء من الجير – انتقى قلما – ومن الحوائط اتخذ صحائف ، وبدأ يصنع غذاء يحميه من برد الحرس ومن حر اشتياقه لبناته – زوجات نفسه .
ويسد جوعه .

فى البدء كانت الكلمة وكانت الحوائط والجير ، ويد تخرج من الكتان تخلق حكاية السها ، الجوّالة ، حاملة الجسد ، المع البنات حاملات النعش .

المستورة خلف حُجُب أهليها ، المعتادة الصوت المشبهها بجمالات الموجودات .

وتعتاد حجرتها تسرب هذا الصوت فيها حتى يغطيها كاملة .

والمشبَّهة بالبحر - شعرها ، والليل - لحظها ، والنجم - قلبها ، والظبى - نفسها ، والورد - تفاصيلها . تسمع ، وترخى ستائرها ولا تجيب .

وخرج الصوت المشبِّه على اعتياده ويناديها من خلف السِتر :

تعالى وانظرى فى جرحى

علنى مريضك

قفى انظر فى جرحك

علنى طبيبك .

يغزوها إيقاع الكلمة ، ترفع الستائر وتشير أن انتظر ، وتجيئه فواحة ضوءا ، يقف إجلالا لبهائها ، وتقف متعطرة بنور كلمته .

ينظران فى جرحيهما فيزداد الدم انهمارا .

٢ - محاورة الفراشة

قال : هل أكون لك نورا .

فردت ألوانها فوق لونه السحيق وردت : أنا عين ضوئك كن ضواء ، النور يحرق ، الضوء يكشف . قال : النور يبين . كنت ضوءا في حقول مظلمةٍ حتى نزلتِ بلونك عليّ فكنتُ نوّارا أحرق الظلمة بنورك – كنتُ .

قالت : كنتُ نورا مغتربا وسط الحلكة حتى عرفتنى – وطنا ، فانكشف الكامن بأركانى فكنت ضوءا .

قال : الظلام أبدى التسلط والنار أبدية الوهج .

قالت : الضوء جلال مقيم لا ينقضى بالظلام ، الضوء أصل ذاته يخرج من نفسه ولا يموت ، النور نار تنتهى بزوال سببها .

قال : أنت فراشة ضوئية .

ترشين الضياء .

عليّ .

أنا منك ، وأنت أصل الضياء الذى لا ينقطع ، وأنا بك نور يندفع .

أنت أبدية وأنا زائل . أنت الجوهر ، الناصع المتفرد ، الضياء المتوحد فى ذاته .

أنت أصل كل شئ فى فراغ ذاتى .

قالت : أأنت تريد اندماج العنصرين ، النار والضياء ، هالات الفجر وفراغ السماء .

أتريد انصهار الذات فى نارك . أنت مشتعل والضوء رطب ناعم .

قال : أنا مشتعل وأنت وهجى ، حد العلم معرفتك وغاية النور ضياؤك .

فهل أكون من المدركين .

أدركته وقالت : الصوتُ صوتٌ صوتُك .

فلتتحقق بى واتحقق فيك . أحب السفر ، شفائى هناك .

وأشارت من بعيد للفضاء المتوج بالسماء ، فتوقف نزيز الدم .

٣ - فرار

يرمى الجمل – الحامل البنت – قدمه فى الأرض ويلمها متهاديا ، حمله تحمله الراكبة فوقه ، تحدو له ولجنس الجمال ، فكان جملا ، ومركبا وغزالا وحصانا . تتبادل السها الحداء مع الماشى حتى أناخ الجمل فى ليلة من الزمان كالأصباح ، طلب منها البرد والسكن ، طلبت منه الراحة .

قال لها : أرى فى عطرك الفراشة الذائبة فى الضوء .

قالت له : أشم فى لون عينيك رائحة الانعتاق من الفضاء الواسع ، القنى فى اليم واعطنى حبك أمت بهيجة ، أريدك .

قال : أريد نفسى .

قالت : طاهرٌ قلبك ، كنه ، سيد بحرك طهره ، كن أنت أكن أنا .

وظلت تردد الكون له حتى انتصر البحر عليهما ، وذابا .

لفت الشمس الدوارة سبع لفات عليهما ولم يمر بأرضهما أحد حتى عادت السها للجسد فأفاقت على الجمل باسط ذراعيه ورداءه مرمى عليها وصوته تبثه الأركان أخذنى النور أعيدينى .

فتقوم إلى الجمل – بنفسها وجسدها – تحدو له تصبره لتطوى به الأرض والمكان وتنده على ضوئها سائرة خلف ندهته منادية :

خرجت فى الأرض أبحث عن مطلوب نفسى

فما وجدته

استحلفكن بالنجمات والفراشات السابحات

يا بنات الأرض إن وجدتن حبيبى

فاستبقينه معكن

ما أجمل البحث

ما أهدأ توتر التنقيب

يقف الجمل عن السير ، ويشكو لها طول السرى فتقول له صبر جميل كلانا مبتلى .

يعتذر الجمل : لست جبلا سيدتى ولا حديدا .

وتنزلق كلمة الجمل من فوق الحائط متشعبة للأرض ، يحاول الناقش نقشها ثانية ، فينزلق الجير ولا يكتب وتفر كلمات الجمل منها ومن الحكاية ومنه وتبقى السها فردة فى صحراء نفسها تناجى رجلها وجملها ويقف الناقش أمام الجير يخط به خروجها فى الدهر الطويل .

٤ - فى حضرة السامع

تخـرج السـهـا تـبـحث عن المطلـوب – طالبـهـا ، المسلوب – منهـا، ناشـدة ، شـادية ، نادهة ، رائيـة الكثـبـان والحلكة والضـوء والصوت والرنين ، أمل اللقـاء يدفعها إلى الهناك الجـاذبها ، تحس بقدمـيهـا سبق وطء ضوئه على هذه الأرض . تصـعـد . ترى لحية سـوداء وسـطهـا عـينان سـودهـمـا الكحل ، ورداء بلـون الكرسى المجلوس عليـه – أخـضـر ، وأذنا مـعـدنيـة يقـول الجـالس فـيـهـا : عليكم السلام ويضع الأذن وينظر لها :

– هل رأيت حبيبى

– من ؟

– زوج نفسى

– وما صفاته ؟

– جميل ضوئى ، نوارنى سابق .

– كيوسف ؟

– لم أره

– ومتى رحل ؟

– بين حياتين

– أيهما تقصدين ؟

– ماذا تقصد

– بعد القبضة الأبدية الأولى على الجوهرة الكونية ، كان العرق الأول ومنه خرجنا وخرجت الملائكة الأطهار فكانت حياة مشهدية ، اختار ابن آدم فيها حياته الدنيا . ثم انتقل إلى ظهر آدم فكانت حياة الذرية تسند ظهره فى سنين التيه ، أربعين سنة تدفعه للبناء . ومنها للدنيا ، فى أى منها لقيته ؟

– كنت فى الموات فسمعت شعره وحييت بصوته ، فتبعته إلى جنته .

– أنت غاوية .

ترتج الأذن من نداء الصوت المحبوس فيها برفعها الجالس ويرد : وعليكم السلام . يشير أن انتظرى تسير خارجة من الحلكة تتسمع لرنين صوت بشرى رتل الشعر فتبعته .

خروج فراشى

يلم المحبوس ألوان بناته يستروح بهن ويلقيها على الحائط فيكون الأزرق للسماء والأبيض للنجوم والداكن للأرض وللسها لون الخروج وبعض من وهن .

وفراشه جيرية الرسم ضوئية الملامح تحط على جبين السها تقبلها وتطير من فوق شفتيها خارجة من الحائط نافذة إلى السماء ، تكبر كلما ابتعدت حتى تصير مظلة على حر شمس انتظار السها وتخسف شمس الراسم وتصل للنجوم تمتص رحيق ضوئها فتظلم النجمة تلو الأخرى بابتعاد الفراشة عنها ، حتى تصل لجارة القمر لنجمة السها تمتص ضوءها وتتشبع به فتستحيل أتونا طيبا له ستة أذرع كل ذراع ينتهى بكف كل كف مفرود فوقه فراشة كل فراشة ترقص كل فراشة ترقص هى فتاة كل فتاة ترتدى بياضا كل بياض يكشف المكمون كل مكمون يتوهج كل وهج يناديه كل نداء له ألفة كل ألفة يعرفها .

يعود للفتيات الراقصات ويراهن من النافذة الفراشية فيجدهن بناته فيناجيهن بالمحبوب إلى نفسه المحبوب إليهن ، ويطلب بناته من أتون ويكتب :

فى الضوء النازل اجلسْ فراشىٌّ الحلُة

ابسط يديك ، واملأ حفنتيك من ماء بحيرة الضوء المقدسة

وتعمد

كما سيتعمد ابن العذراء من بعدك بمئات السنين

وبهذه السكين

تطهر واقطع غلفتك

ستكون الطهارة سُنَّةُ العبرانيين

واغمد ريشة الصدق فى حزامك

وارفعها ضوءا فى وجه الحلكة

قد تخسر

قد تنهزم

وقد تنتصر

يخلع الكتان عن جسده ويتمدد تحت الضوء النافذ يغتسل به ، وينام طاهرا ، تنزل يد آتون الأولى بأحب بناته إليه المسماه (مريت – دينا – إحسان) تنزلق على الضوء إلى الجسد النائم تدلكه ، وتمسح مسامه بريشها الشمسى وتوقظه ، وتدفئه .

انقش

بجوار الراقد تحت فراشة النافذة تجلس ، تحفن من النور وتلقي على الجسد ، تمسحه بالنور وبالكلمة ، يغيض ازدهار الذبول ، ويفيض جسمه اشراقا، وتنشد :

جئت أسقى نباتك .

يا ذا الزهرة الطاووسية .

تعال نوقف الحيات الراعيات .

فى الجذر .

تعال أدون تاريخك على لحاء الشجر .

وأزين شعرك بالزهر .

دعنى ألون قلبك بالعطر الساكن ، وأعطر جسدك باللون البهى .

يفتح العينين عليها . يسألها : ما خبرك .

تقول : جئتك ، أهيئك .

يسألها : ما خبرك .

تقول : جئتك ، أهيئك لتهبنى فتاة بفؤادٍ يرق ، تحن لصدرٍ دفوق .

يسألها : ما خبرك .

تقـول : انظر واحـفظ عـينيك عن الأغـضـاء ، لملـم طباشـيـر الألوان واكتب على السبورة بالأبنوس : فتاة .

ضـع كلمتك فىّ .

يقول : أهبك غلاما ، بكلمتى .

تقـول أنقش فتـاة على صـفـحة مائى واغـمس الأبنوس فـيه ، تخرج فتاة – بيضـاء – سـمراء بغير سـوء .

أنقش ولا تـخش عاقبة ، أطع فؤادى .

يسلم لكلام يديها ، ولمس عينيـها ويقـول قودينى لأهبـك ما أردت .

تُلْبسـه أردية من ضـوء ، وتأخـذ بيـده ، تزيح الغـطاء المعلق مقعدا على شباك الباب ، تجذبه فيكون الباب بلا وصد .

يمران فى الممـر الطويل ، يسـتوقـفهـمـا الحارس ويسـأل أين الطريق . تنظر له فتكون الأرض خريطة ويسيران .

يصـيح القـاعـدون على الأغطية المقـاعـد من خـلف شـبـابيك المحبس عليها وعليه ، يميز صـوت أحدهـم :

فـرت مع من أمـه أخـتك ، يا مـحـرم التـجـسـيد ، يا مـدنس الحـرمة ، العار – العـار ، القـصاص – القـصاص ، يا عبيد آمـون .

ينظر لها فتفتح له كتاب ابن عقيل فلا يجد شـاهدا على قوله فى المسلات التى نقشها ابن مالك وفسرها محى الدين تغلق باب الكتـاب وتفـتح لـه البـاب الأخـيـر مـن الداخل ، البـاب الأول من الخـارج.

ينحنى الحـارس ليفتش مـا بين ساقيـه – مبتـسمـا ، يتراجع وظهره ينتـصـب فى ارتطامه بوسخ الحـائط ، بينما تفـتح له الباب الخشبى العتيق .

هيت لك

تفتح غرفة حيطانها مزيج روائح مَنْ رقدوا خلفها ، منقوش عليها الطير والعين والفم وباقى أعضاء الجسد . تشير للمنقوش وتبين المعنى : هنا شعر أخضر وتلك رموش صفراء ، العينان بلون القهوة ، الجسد من كل الفل معجون ، هنا يرش العزيز علىَّ عطره الأرخص من حبة عرق يبثره الجلد خلف أذنى .

يحملها شلال الجسد المحجوز فتقع أمامه قطرة لا تبل صداه ، تتجرد متشحة بالعرى الجليل ، وعلى إيقاع كعبيها تتردد راقصة من الإمام للخلف مُهْرَةً ، تشق المكان وتحوطه ، تنظر له بعين البنت الرانية للمخاض وللميلاد ، وتصهل :

تعال ابْنِ بى

سدا للبحر ، ثبت القلب على حائط لا يسقط ،

تعال ادرك اللون المتدرج ، وارفع الشوق ، اقذفه صوب الهواء،

ينثر مظلة من جسد .

حبيبى كرمة من مشمش ، عيناك حقل مشمس .

تفتح ذراعيها وتقول : هيت لك ، هيُِّئْتَ لك .

أهمّ الرائى برهانُ الكلمة ، وومض القيد فى عينيها ، عَرِفَ - الآن - أنها لا تعرف الهدوء المستكين - الصديق الأول ، ولا تعرف بدء الرحلة من منتاها ، وسأل : هل كان الحب من اللمس أمْ من تحريمه . وقال : هل ثمة أشياء وامضة لا تفر فى الزمن .

تمد عينيها ، تطأ البصر ببعض فرار وكثير من جذب ، تدخل فى القلب ، تحاول تشكيل الحياة المترسبة فيه ، وتقول :

تعال اعلمك الطعم الآخر للقبل

تعال نصنع ميقاتنا

مازال الناعم يجئ متسلسلا ، وللأشياء طعم حسن .

فى عيونهم كثير منك ، ولا شئ من كلهم فى عينيك ، تعال نزيح السماء عن صدرينا .

يزيح الجسد اللطيف الضارب فيه من موضع اشتعال البرد، ويحس الجذب الذى ما عاد إلا أقوى من الأشياء مازال يجذبه ويقاوحه .

ينتصر الضوء فيه ويقول : عطاياى تُنْقَشُ تحت وهج الضوء المُميَّزْ ، فى اللا سِتْر فوق اللا أخشى حيث اللا كسر ، جدير فيكِ الشعور ، جدير بى الرحيل - عنكِ ، فى نفسى حدود لا تنقضى بالمواطنة .

يقوم إلى قميصه يهيئه للقد . ويسير نحو الباب .

أغسطس - سبتمبر ١٩٩٠

الفهـرس

الموضوع	الصفحة

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٢١٠٧ س ١٩٩٦ – ١٠١٣

رقم الإيداع (٩٦/١٠٦٧٧) الترقيم الدولى (I.S.B.N.977-235-692-9)



تدخل قصص الكتاب عالم الطقوس الفولكلورية ، وتبتحثها بقوة وذلك عن طريق أساليب جيدة منها تغريب المألوف أي تصوير المشاهد اليومية والعادية فى ضوء جديد مما يؤدى إلى إعادة البراءة والدهشة إليها ، ومنها تراكم التفصيلات الصغيرة المنتقاة بعناية ومنها تقطيع عملية السرد القصصى مما يوجه نوعاً من الموسيقى الداخلية فى عمله ، والكاتب حفىّ بلغته ، معنىّ باختيار المفردة الدقيقة في سياقها المحكم والموحى .





١٩٩٦